**ما الحكمة فى كون الكفار أكثر من المؤمنين**

**فما الحكمة فى كون الكفار اكثر من المؤمنين وأهل النار أضعاف أضعاف أهل الجنة كما قال الله تعالى ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) وقال ( وقليل من عبادى الشكور ) وقال ( إلا الذين لآمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ) وقال ( وإن تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ) وبعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد إلى الجنة وكيف نشأ هذا عن الرحمة الغالبة وعن الحكمة البالغة وهلا كان الامر بالضد من ذلك ؟ قيل : هذا السؤال من أظهر الادلة على قول الصحابة والتابعين فى هذه المسألة وأن الامر يعود إلى الرحمة التى وسعت كل شىء وسبقت الغضب وغلبته وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية ثم نقول : المادة الارضية اقتضت حصول التفاوت فى النوع الإنسانى كما فى المسند والترمذى عن صلى الله عليه وسلم " أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فكان منها الخبيث والطيب والسهل والحزن " وغير ذلك فاقتضت مادة النوع الانسانى تفاوتهم فى أخلاقهم وإرادتهم وأعمالهم ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم أن ابتلى المخلوق من هذه المادة بالشهوة والغضب والحب والغض ولوازمها وابتلاء بعدوه الذى لا يألوه خبالا ولا يغفل عنه ثم ابتلاء مع ذلك بزينة الدنيا وبالهوى الذى أمر بمخالفته هذا على ضعفه وحاجته وزين له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وأمره بترك قضاء أو طاره وشهواته فى هذه الدار الحاضرة العتيدة المشاهدة إلى دار أخرى غايته إنما تحصل فيها بعد طى الدنيا والذهاب بها وكان مقتضى الطبيعة الانسانية أن لا يثبت على هذا الابتلاء أحد وأن يذهب كلهم مع ميل الطبع ودواعى الغضب والشهوة فلم يحل بينهم وبين ذلك خالفهم وفاطرهم بل ارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وبين لهم مواقع رضاه وغضبه ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم اكمل اللذات فى دار النعيم فلم تقو عقول الا كثرين على إيثار الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا : كيف يباع نقد حاضر وهو قبض اليد بنسيئة مؤخرة وعدنا بحصولها بعد على الدنيا وخراب العالم ولسان حال أكثرهم يقول : خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به فساعد التوفيق الإلهى من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمده فأمده بقوة إيمان وبصيرة رأى فى ضوئها حقيقة الآخرة ودوانها وما أعد الله فيها لأهل طاعته وأهل معصيته ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقاضها وقلة وفائها وظلم شركائها وانها كما وصفها الله سبحانه لعب ولو وزينة وتفاخر بين اهلها وتكاثر فى الاموال والاولاد وانها كغيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فنشأنا فى هذه الدار ونحن منها وبنوها لا تألف غيرها وحكمت العادات وقهر سلطان الهوى وساعده داعى النفوس وتقاضاه موجب الطباع وغلب الحسن على العقل وكانت الدولة له والناس على دين الملك ولا ريب ان الذى يخرق هذه الحجب ويقطع هذه العلائق ويخلف العوائد ولا يستجيب لدواعى الطبع ويعصى سلطان الهوى لا يكون إلا الأقل ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاء لهذا الصنف من المادة الترابية لخفة النار وطيشها وكثرة نقلتها وسرعة حركتها وعدم ثباتها والماء المادة الملكية فتربه من ذل فلذلك كان المخلوق خيرا كله فالعقلاء المخاطبون مخلوقون من هذه المواد الثلاث واقتضت الحكمة ان يكونوا على هذه الصفة والخلقة ولو كانوا على غير ذلك لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء وتنوع العبودية وظهور آثار الاسماء والصفات فلو كان أهل الايمان والخير هم الا كثرين الغالبين لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه التى هى من أجل أنواع العبودية وفات الكمال المترتب على ذلك فلا أحسن مما اقتضاه حكمة احكم الحاكمين فى المخلوق من هذه المواد ثم أنه سبحانه يخلص ما فى المخلوق من تينك المادتين من الخبث والشر ويمحصه ويستخرج طيبة الى دار الطيبين ويلقى خبيثه حيث تلقى الخبائث والاوساخ وهذا غاية الحكمة كما هو الواقع فى جوهر المعادن وطيبها أقل من وسخها وخبثها والناس زرع الارض والخير الصافى من الزرع بعد زوانه وقصله وقصفه وتبنه لأقل من بقية الاجزاء وتلك الاجزاء كالصور له وقاية كالحطب والشوك للثمر والتراب والحجارة للمعادن النفيسه**

**من كتاب شفاء العليل**

**ابن القيم الجوزية**